أماكن في الذاكرة (3)

الكويت في ذاكرتي



صالح بن محمد الهلابي

الطبعة الأولى
2025م

الكويت في ذاكرتي

صالح بن محمد الهلابي

الإهداء

إلى الصديق العزيز/ **إبراهيم عبدالرحمن العجلان**

رغم أن سنواتٍ مضت على رحلتنا إلى الكويت، إلا أن الذكريات ما زالت نابضة بالحياة، تلوح في الذاكرة كأنها حدثت بالأمس.

يسعدني أن أهديك هذه الصفحات، التي تحمل شيئًا من عبق تلك الأيام الجميلة التي جمعتنا.

المقدمة

في مطلـع عقـد الثمانينيـات الميلاديـة، بدأتُ أكتشف العالم خارج حدود وطـني. كـانت أولى رحلاتي إلى الخـارج تحمـل نكهة الاكتشاف والدهشـة، فـزرت مصـر بتاريخها العريق ونيلها الساحر، ثم تركيـا بجمالهـا الطـبيعي وحضـارتها المتنوعـة، وكـذلك قطـر والإمـارات حيث مظـاهر النمو والتطـور كـانت تتسـارع. لكن بقي في داخلي شغف لم يتحقـق بعـد، رغبـة كـــانت ترافقـــني كظلال حلم... زيـــارة الكويت.

أتذكر جيدًا زيارتي الأولى لمنفذ الرقعي، الحـد السـعودي الفاصـل مـع الكـويت، وكــان ذلــك في عــام 1981م. وقفت هناك طـويلًا، أراقب السـيارات القادمـة من الجـانب الكويـتي، وأتأمـل اللوحـات التي تحمل أسماء أماكن كنت أقرأ عنهـا أو أســمعها في نشــرات الأخبــار أو في صــفحات الصــحف. كنت أشــعر أنــني قـــريب جـــدًا من الحلم، ولكن لم يحن وقته بعد.

في تلك الفترة، كـانت الكـويت تُعـد درّة الخليج بلا منـازع. سـبقَتْ نظيراتهـا من دول المنطقـــة في مجـــالات شـــتى: التعليم، الإعلام، المســـرح، التجـــارة، وحتى في مستوى الحريات.

كنت أتـابع الصـحف الكويتيـة بشـغف، ويدهشــني ذلــك الطــرح الجــريء في

مقالاتها، والنقاشات التي كانت تدور بكل انفتاح ووعي. حتى الإعلانات السياحية في الصحف كانت تخبرك ضمنيًا عن مجتمع لا يخشى التجربة ولا يخاف من الانفتاح على العالم.

لم تكن الكويت حينها مجرد دولة خليجية؛ كانت أيقونة للحداثة والنمو، ووجهة يقصدها الباحث عن الفن، الثقافة، والتجارة. كنت أسمع عن أسواقها العامرة، وعن مسارحها التي تعجّ بالعروض الجريئة والممثلين المعروفين في العالم العربي، وعن دور السينما التي تعرض أحدث الإنتاجات، وعن أبراجها التي كانت حديث الساعة آنذاك، لاسيما أبراج الكويت التي أصبحت رمزًا شامخًا في أفق الخليج.

مـرت السـنوات، وبقيت تلـك الرغبـة تسـكنني. حـتى جـاء عـام 1985م، حين جاءت الفرصـة المنتظـرة، وسـنحت لي زيـارة الكـويت أخـيرًا، برفقـة صـديقي العزيـز إبـراهيم عبـدالرحمن العجلان. كـانت الرحلـة قصـيرة بـالزمن، لكنهـا عميقة بالأثر، مليئة بالمشاهد والتجـارب والانطباعات التي لا تُنسى.

في هذه الصـفحات، أدوّن تفاصـيل تلـك الرحلة كما حفرتهـا ذاكـرتي، لا من بـاب الحنين فقط، بل من باب الوفاء لمرحلة جميلة من حياتي، ولبلد احتـلّ في قلـبي مكانة خاصة. هي شهادة شخصية لـزمن كانت فيه الكويت نجمة لامعة في سماء الخليج.

صالح بن محمد الهلابي

الرياض - 13/5/2025م

بداية الرحلة



في الطريق إبراهيم يتأمل الربيع على مد النظر

في ربيع عام 1985م، وفي وقت كـانت فيه رحلات السـفر نـادرة وتحمـل نكهـة المغامرة، اجتمعتُ مـع الصـديق الـوفي إبـــراهيم عبـــدالرحمن العجلان نتبـــادل الحـــديث عن الســـفر، عن الرغبـــة في كسر الروتين، واستكشاف شـيء جديـد خارج حدود الـوطن. كنـا شـابين يحملان طاقة كبيرة وشغفًا بالحياة.

اتفقنـــا على شـــرط بســـيط: إذا حصـــل إبراهيم على جـواز السـفر، سـيكون لـه

حق اختيار الوجهة التي نسافر لها. وما إن استخرج الجواز من الجوازات، حتى بادر قائلاً: "**الكويت**!"

ابتسمت وقلت له: "أفضل اختيار... كنت أتمنى أن تختارها!"، وهكذا بدأنا في التخطيط لرحلتنا التي انتظرناها بشوق.

في ذلك الوقت، كانت الكويت في أوج تألقها. كانت تسمى "باريس الخليج"، ليس فقط لتطورها العمراني، بل لروحها الثقافية المنفتحة، ومجتمعها النابض بالحيوية، وشوارعها التي تمزج بين الحداثة والأصالة. كانت مقصداً للسياحة، للفن، للتسوق، وللإعلام الحر الذي يدهشك بجرأته.

انطلقنا في صباحٍ ربيعيٍّ بديع، والجو عليل، والشمس لا تزال تتسلل بخجل

خلـف خيـوط الغيـوم. كـانت السـيارة مجهزة بكل ما نحتاجـه من طعـام ومـاء وأشرطة كاسيت لأغاني الزمن الجميـل، وراديـو لا يغـادر موجـات إذاعـة الريـاض والكويت، وكأننـا نُمهّـد للأذن مـا سـتراه العين لاحقًا.

سلكنا الطريق من المجمعة باتجاه حفـر البـاطن، وكـان الطريـق حينهـا ضـيقًا بمسار واحد، كثـير الانحنـاءات، ومكتظًـا بالشـاحنات الـتي تسـير ببطء وتفـرض على السائقين التحلي بالصبر.

لكن جمال الطبيعة حولنا عوّضنا عن كل تلك الصـعوبات. كـانت الصـحراء ترتـدي ثوب الربيع بكل فخر. مساحات شاسـعة من النفـل، والخـزامى، والزهـور البريـة غطّت الأرض بألوانهـــا البنفســـجية

والبيضاء والصفراء، تبعث في النفس بهجة لا توصف.

اضطررنا للتوقف أكثر من مرة، ليس فقط لنأخذ قسطًا من الراحة، بل لأن الطبيعة كانت تدعونا للتأمل. كنا ننزل من السيارة، نجلس على سجادة خفيفة، ونتنفس هواءً نقيًا يكاد يكون معقمًا من كثرة نقاوته. كأننا نملأ صدورنا بزمن مختلف... زمن بسيط وجميل، لا يُقاس بالساعات، بل بالشعور.

في الطريق تبادلنا الحديث، الضحكات، واستعدنا ذكريات الطفولة والدراسة. وكان حديثنا عن الكويت لا ينتهي... عن الأبراج، والمسارح، وأسواق السالمية، وأشرطة الفيديو التي كنا نسمع عنها،

وحــتى عن الشــوكولاتة الكويتيــة الــتي كانت شيئًا مختلفًا في ذلك الوقت!

استمرت الرحلة حـتى بـدأ ضـوء العصـر يكسو الأفق بلونه الـذهبي، حينهـا بـدأت ملامح حفــر البــاطن تظهــر أمامنــا من بعيـد. وصـلناها ونحن نشـعر أننـا اقتربنـا خطــوة من الحلم، تعب الرحلــة لم يكن ثقيلاً، لأن الشـــــغف غطّى على التعب، والحمــاس لمــا هــو قــادم جعلنــا نــرى الطريق أسهل مما هو عليه.

باتت الكويت على بُعد مسافة قصـيرة... وكنا نعدّ اللحظات لوصولنا إليها.

الوصول إلى حفر الباطن

حين وصلنا إلى حفر الباطن، كـان ضـوء نهار العصر قـد بـدأ يميـل إلى الغـروب،

والمدينـة اسـتقبلتنا بهـدوئها المعـروف آنذاك.

لم تكن حفـــر البـــاطن في منتصـــف الثمانينيات كما هي اليوم؛ كانت لا تـزال مدينة بسيطة، محـدودة العمـران، يغلب على مـداخلها طـابع البـداوة والبسـاطة، ببيوتها الصغيرة وشوارعها التي لم تمتـد بعد في جميع الاتجاهات.

كـان من غـير الممكن (وفـق العُـرف السائد في ذلك الـزمن) أن تمـرّ بمدينـة لك فيها أقارب دون أن تتوقف لزيارتهم. كانت صلة الـرحم في ذلـك الـوقت تُعـدّ من الثـوابت، لا مجـال للتهـاون فيهـا. والنـاس كـانوا يقـدّرونها حـق التقـدير؛ يُعاملون القريب كأنـه فـرد من الأسـرة، ويستقبلونه كـأن الـزمن توقّـف خصيصًـا لقدومـه. وكم تحسّـرت في داخلي على

تلك القيم التي بدأت تتلاشى شيئًا فشيئًا مع تغيّر الزمن وسرعة الحياة، كأنها نبتة جميلة ذبلت تحت شمس الإهمال.

كانت لحفر الباطن عندي مكانة خاصة، ليس فقط لأنني مررت بها في طريقي إلى الكويت، بل لأنها كانت محطّ زيارات متكررة في السنوات الماضية، حين كانت جدتي عائشة (رحمها الله) قد قررت الاستقرار بها في أوائل الثمانينيات.

كنت أزورها كلما سنحت الفرصة، أجلس معها، أستمع لحكاياتها، وأشعر بدفء الأسرة في كلماتها. واليوم، وأنا أمرّ من هذه المدينة، لم يكن لي أن أتجاهل هذه الذكريات، ولا أن أنسى من تبقّى من رموز ذلك الزمن الجميل.

توجهت مباشرة إلى سوق الحفر القديم، السوق الشعبي المعروف في قلب المدينة. هناك، كان يعمل العم عبدالعزيز الرديني (أبو عبدالله) زوج عمّتي، وأحد الرجال الذين يكنّ لهم قلبي احترامًا ومحبة لا حدود لها. لم يكن مجرد قريب، بل كان في مقام الوالد، برزانة شخصيته، ودماثة أخلاقه، وحكمته التي تشعر بها في كل حديث له.

رغم تشابه المحلات في السوق، ومحافظتها جميعًا على نفس الطابع المعماري البسيط، إلا أنني استطعت تمييز محلّه على الفور. أوقفت السيارة أمامه، نظرت داخله فلم أجده، لكن ما هي إلا لحظات حتى لمحني من المحل المقابل، وهرول نحوي بابتسامة عريضة لم تتغيّر منذ سنوات.

كـان لقاؤنـا مـؤثرًا ومليئًا بالمشـاعر، لم يحتج إلى كثير من الكلمات، فقد عبّـرت الملامح والعينـــــان عمّـــــا في القلب. احتضنني بحرارة، وقـال لي بحـزم الأب: "مــا تـــروح من الحفـــر إلا إذا تعشّـــينا الليلة."

لبّينـا الــدعوة بكــل ســرور، فليس من العـدل أن نـرفض كرمًـا كهـذا، خصوصًـا من رجلٍ أكرمنا طوال حياتنا. انتقلنا بعد إغلاق المحل إلى منزلـه، حيث كـان في اسـتقبالنا أولاده، وعمّت أجـواء الألفــة والضـيافة أرجـاء الـبيت. تناولنـا عشـاءً دسـمًا، جلسـنا نتبـادل الأحـاديث عن العائلـة، وعن أحـوال السـفر، وعن أيـام الريــاض والمجمعــة، وحــتى عن أخبــار الكويت التي كنّـا على بُعـد سـاعات من الوصول إليها.

بعد العشـاء، أصـرّ العم عبـدالعزيز على أن نـــبيت ليلتنـــا في ضـــيافته. حاولنـــا التهرب بلطف، لكنه ألحّ بشـدة. غـير أن رغبتنا في مواصلة الطريق إلى الكــويت كانت أكبر من أن تؤجـل، حـتى وإن كنـا متعــبين. فقــد كــان الشــوق أكــبر من التعب.

ودّعناه على مضـض، وانطلقنـا من حفـر الباطن في ساعة متأخرة من الليل. وما إن خرجنا من المدينة، حتى بدأت مرحلة جديــدة من الرحلــة: طريــق مــوحش، مظلم إلى درجـــة أنـــك لا تـــرى شـــيئًا خارجـه. كـانت الخطـوط البيضـاء الـتي ترسـم حـدود الطريـق قـد أُزيلت، أو لم تكن مرسومة بعد، فتحـوّل الطريـق إلى شريط من السواد لا بداية لـه ولا نهايـة. أمامنـا فقـط أنـوار السـيارة، تحـاول أن تخترق هذا السكون المخيف.

كنا نقود ببطء، بتركيز شديد. لا أحد على الطريق، لا سيارات، لا شاحنات، لا أضواء من حولنا. كأننا نسير في فراغ. الصمت يلفّ السيارة، ولا يقطعه سوى صوت المحرك وبعض الموجات المتقطعة من الراديو، حين يلتقط بثًّا من هنا أو هناك.

رغم رهبة الطريق، كنا متحمسين؛ نعدّ الكيلومترات حتى نصل إلى منفذ الرقعي. الطريق بين حفر الباطن والرقعي لا يتجاوز مئة كيلومتر، لكنه بدا لنا في تلك اللحظة كأنه مئة ميل من الظلام.

كنا نعلم أن خلف هذا الطريق الموحش، تنتظرنا الكويت... البلد الذي ملأت أخباره خيالنا، وملأت صور شوارعه وشاشاته وعمرانه تفكيرنا. كنا نعرف

أننا على بُعـد خطـوات من الـدخول إلى عالم جديد، ومن بداية حكاية لا تُنسى.



عنـد منتصـف الليـل تقريبًـا، وبعـد رحلـة طويلة امتدت منذ صباح اليـوم السـابق، انتهينـا من إجـراءات الـدخول في منفـذ **السالمي** بدولـة الكـويت. كـان المنفـذ هادئًا في تلك الساعة المتأخرة، لكننا كنّا في قمـة الحماسـة وكأننـا دخلنـا عالمـاً جديداً، رغم أننا لم نخطّط أين سنسـكن ولا إلى أين سـنتجه بالتحديـد. كنا شابين مغامرين، نحمل من الحماسة أكثر مما نحمل من الدراية، وكل مـا في الأمر أننـا أردنـا أن "نجـرّب"، أن نكسـر

الروتين، أن نعيش لحظة مختلفة... وها هي بدأت بالفعل.

ما إن دخلنا أول شوارع الكويت حتى باغتتنا المفاجأة الأولى. عند أول إشارة مرور واجهتنا، اخترت الانعطاف يمينًا بشكل عفوي، دون إدراك تام لقوانين المرور المحلية.

لم تمضِ ثوانٍ حتى توقفت بجانبنا سيارة أمريكية سوداء، ترجل منها رجل ذو ملامح صارمة، وعرّف نفسه بأنه من رجال **المباحث**.

قال بصوت حازم:

– "أنت قطعت الإشارة السابقة."

التزمتُ أنا وصديقي إبراهيم الصمت. لم نكن ندري هل نحن فعلاً خالفنا، أم أن سوء الفهم سيلحقنا من أول لحظة؟ كانت المفاجأة كبيرة، والموقف محرجًا،

خصوصًا ونحن للتو دخلنا البلاد التي طالما حلمنا بزيارتها.

تركته يتحدث قليلاً ثم مددت يدي له وقلت بهدوء فيه شيء من العتب:

"أنا وصديقي قادمان من الرياض، وهذه أول مرة نزور الكويت، ولا نعرف نظام المرور هنا... لكن إن كانت الكويت تستقبل زوارها بهذه الطريقة، من الأفضل أن نعود للسعودية!"

فوجئ الرجل بكلامي، وتغيّرت ملامحه. ظهرت عليه علامات الخجل والندم، وسرعان ما اعتذر بلطف، وانقلبت نبرته الجادة إلى نبرة ودودة. قال:
"لا لا، سامحوني يا شباب... وش تحتاجون؟ وين تبون تروحون؟"

أخبرنــاه أننــا نــرغب في التوجــه إلى المدينة، لكن ظن أننـا نـرغب في زيـارة المدينة **الترفيهية**، الــتي كــانت من أشهر المـزارات السـياحية آنـذاك، لكننـا فهمناه أننا نبحث فقط عن مكان للراحة والنوم.

فاجأنا الرجل بعرضه أن يُرافقنا بنفســه، وقــــــــــــــــــال:
"اتبعوني، وأنا أوصلكم."

تقــدّم بســيارته، وتبعنــاه عــبر شــوارع الكويت التي بـدت لنـا في تلـك السـاعة الهادئة وكأنهـا تسـتعد لنـا وحـدنا. مررنـا بشوارع أنيقة، مضاءة بنور خافت، حــتى وصــلنا إلى **شــارع الخليج العــربي**، وهناك، تهيّأت لنا صورة لا تُنسـى: أبـراج الكويت شامخة تضـيء الأفـق، وسـكون

البحـــر يعكس أضــواء المدينـــة بهـــدوء يلامس الروح.

توقف صاحبنا أمام **فندق الشيراتون**، أحد أرقى فنادق الكويت آنــذاك. شـعرنا بنـوع من التـورّط؛ كنـا نبحث عن فنـدق بسيط، وقد فكّرنا فعلًا أن نقضـي الليلـة على كورنيش البحر، أو نبحث عن شــقة متواضعة. لكننا وجدنا أنفسنا فجأة أمــام بوابة فندق خمس نجوم!

دخل الرجل إلى الاستقبال، وتحـدّث مـع الموظــف، ثم عــاد إلينــا مبتســمًا وهــو يقول:

"تمت الإجـراءات... ارتـاحوا، ونشـوفكم بعد الظهر."

بقينـــا واقفين مـــذهولين. لم نســـتوعب تمامًا ما حـدث. انتقلنـا خلال دقـائق من تفكيرنـا في المـبيت على الرصـيف، إلى

أن نكون ضـيوفًا في فنـدق الشـيراتون! وكأن الرحلـة قـررت أن تفتح لنـا أبـواب المفاجآت منذ لحظتها الأولى.

دخلنـا الغرفـة... كـانت فخمـة بكـل مـا تحملـه الكلمـة من معـنى. مفروشـات أنيقة، إضاءة هادئة، وتكييف بارد في عزّ الربيع. لم نكن معتـادين على هـذا النـوع من الرفاهية، فقبل سنوات قليلـة فقـط كنّا ننام على سطوح البيوت، والمكيفات كانت ضيوفًا جددًا على حياتنا.

تمـدّدنا على الأسـرة الواسـعة، وغمرنـا إحسـاس عميـق بالراحـة. نمنـا بهـدوء وكأننـا نعيش حلمًـا لا نريـد أن نسـتيقظ منه.

وفي صباح اليوم التالي، اسـتيقظنا على صـوت ضـوء الشـمس المتسـلل من النوافذ الكبيرة. تناولنا إفطارًا فـاخرًا، ثم

خرجنا نتجول في المدينة التي طالما سمعنا عنها، وها نحن نعيشها بأقدامنا وأعيننا.



ذهبنا إلى **أبراج الكويت**، معلم البلاد الأبرز، وكان يلفّها الهدوء، فلم تكن مزدحمة بالسياح أو الزوار في ذلك الصباح. لم تكن مفتوحة للصعود، فاكتفينا بالتصوير، والتأمل، والمشي في محيطها، نستشعر لحظات من الصفاء والدهشة.

كنا هناك... في الكويت، بعد سنوات من الحلم، وها نحن نبدأ مغامرتنا، ومعها تبدأ حكايات لا تُنسى.

مقابلة رابح صقر وزيارة الجهراء



بعد جولتنا الصباحية في الكويت وتجوالنا في أرجاء العاصمة، عدنا إلى بهـو فنـدق الشـيراتون لنرتـاح قليلاً. الجــو داخــل الفنـدق كـان يحمـل رائحـة فخامـة لم نعتـدها بعـد، كأننـا انتقلنـا، دون سـابق

إنــذار، من حيــاة البســطاء إلى عــالم النخبة. كنّا لا نـزال تحت تـأثير الصـدمة الأولى: كيــف انتهى بنــا المطــاف من رصــيف البحــر إلى أحــد أرقى فنــادق الخليج؟ ولم نفق بعـد من هـذه الدهشـة حتى وقعت أعيننا على مفاجأة جديدة...

رأيناه جالسًا لوحده، هادئًا، أنيقًا، لكنـه لا يـزال يحمـل ملامح البـدايات. كـان ذلـك الشاب هو **رابح صقر**، الفنـان الصـاعد آنذاك، وقد بدأت أغنيته "يا نسيم الليـل" تشق طريقها إلى قلوب النـاس. اقتربنـا منه بتحفظ، لكنه بادرنا بابتسامة عريضة واسـتقبلنا بلطـفٍ يفـوق التوقـع. جلس معنـا وتحـدث بعفويـة، أخبرنـا أنـه في الكويت لإنهاء بعض الأعمال الفنية.

كان اللقاء يسير بشكل ودي إلى أن قرّر صــديقي إبـــراهيم أن يُلقي "إطـــراءه

العفـــــــــوي"، فقـــــــــال لـــــــــه:
"والله إنك من أفضل الفنانين الشعبانيين!"

لم تمرّ الكلمة بسلام، إذ بدا الانزعاج واضحًا على وجه رابح، فتغيرت ملامحه وقـــــــــــــــــــال بجديـــــــــــــــــــة:
"أنا ما أعتبر نفسي فنان شعبي، أنا أقدم فن مختلف..."

تداركنا الموقف بابتسامات سريعة، وحاولنا أن نعيد الجو الودي، لكن الصدمة كانت قد حدثت، وغادرنا بعدها بلحظات عندما حضر صديقنا الجديد، زيدان العنزي الرجل الذي أنقذنا بالأمس من أول صدمة مرورية في الكويت.

دعانا زيدان للركوب معه بسيارته، قائلًا إنه يريد أن يصطحبنا إلى منزله. كعادته،

كان لطيفًا، مرحّبًا، يفيض بالكرم منذ اللحظة الأولى. لم نجرؤ على سؤاله عن طبيعة الدعوة: هل هي مجرد استراحة قصيرة لتناول القهوة؟ أم أن وليمة بانتظارنا؟ تركنا الأمور تسير على طبيعتها، وكتمنا فضولنا خلف ابتسامات الصمت.

توجهنا نحو **مدينة الجهراء**، وهي إحدى المدن الكويتية التي كانت لا تزال تحتفظ بطابعها الشعبي آنذاك. وصلنا إلى حيّ بسيط، وتوقف أمام **منزل شعبي من دور واحد**، مبني من الطوب الإسمنتي وسقفه من الخشب. لم يكن شيئًا فخمًا، لكنه بدا دافئًا... حقيقيًا.



دخلنــــا **المجلس الخـــارجي**، وهنـــاك كانت المفاجأة: المكان مكتظ بالرجــال. أعينهم تتفحصنا، تتساءل: من هؤلاء؟

رجـل مسـن، يحمـل هيبـة الآبـاء وكـرم البادية، تقدّم نحونا مرحّبًـا، وأجلسـنا في صدر المجلس، وأغدق علينا من عبـارات الـترحيب مـا جعلنـا لا نعـرف بم نـرد أو كيـف نـرد؟. جلسـنا بين الجمـع كأننـا ضيفان من عـالم آخـر، ونحن لا نـزال لا نعلم: هل نحن في زيارة سـريعة أم في قلب مناسبة لا نعرف مداها؟

تُقدّمت لنا **القهوة العربية**، برائحتها الزكية، وبدأت الأحاديث الجانبية. زيدان اختفى للحظات، ثم عاد وهمس شيئًا في أذن والده، الذي نهض فورًا وقال بصوت جهوري:

"تفضلوا على ضيفتكم."

كان الإعلان مفاجئًا... لقد أولم لنا زيدان **ذبيحة كاملة**. ووقف يعتذر لنا بخجل:

"هذي ما هي من واجبكم...."

أنا وصديقي إبراهيم تبادلنا نظرات بدهشة صامتة، لم يكن أيٌّ منّا قادرًا على النظر في عيني الآخر، خشية أن ننفجر ضحكًا من فرط الارتباك. لم نكن معتادين على هذا الكم من الكرم الفطري، ولم نعرف كيف نتعامل مع هذا النوع من الاستقبال الباذخ الذي

كان، بالنسبة لنا، أقـرب إلى مشـهد من مسلسل بدوي.

بعد الغداء، بينما كنّا نحتسي الشاي، بـدأ بعض الحضور بتقديم الدعوات لنا لزيارة منـازلهم. كـانت النيـات طيبـة والقلـوب بيضاء، لكن زيدان، وقـد شـعر بارتباكنـا، تـدخّل بلطافتـه المعهـودة واعتـذر لهم: "الشباب مرتبطين بمواعيد مسبقة."

شـعرنا بالامتنـان لهـذا "المنقـذ الاجتمـاعي"، فهـو يفهم جيـدًا أننـا لسـنا معتادين على هذه البروتوكولات القبليـة، ويحرص ألا نُحرج أو نقع في مأزق.



بعدها ودعنا أهل الجهراء بقلوب مملوءة بالامتنـان، وانطلقنـا بجولـة على أشـهر معالم وأسواق الكـويت. لم نتحـدث مـع زيـدان عن رغبتنـا في حضـور عـرض مسـرحي، رغم أن المسـرح الكويـتي آنذاك كان منـارة فنيـة في الخليج، ربمـا خشينا أن نثقل عليه.

اقـترب المسـاء، والجـو بـدأ يميـل إلى الـبرودة. ذهبنـا إلى **النـادي البحـري**، حيث ترسو **المراكب الشراعية**، بقايـا زمن الغوص على اللؤلؤ، وحكايات البحر الـتي تنـام على المـوج. مشـينا على

الكورنيش، والنسيم البـارد يلفح وجوهنـا كأنه يُنعشنا بعد يوم طويل.

عنـد تلـك اللحظـة، تكلم زيـدان فجـأة، بصوت خافت ونبرة حزينة:

"تـدرون... حنـا نخـدم الكـويت، لكن مـا عندنا جنسية."

كانت جملة ثقيلة... صـادمة. توقفنـا عن المشي، تبادلنـا النظـرات، لم نعـرف بم نـــــــــرد. لكنـــــــــه تـــــــــابع:
"أنـــا أشـــتغل بالمبـــاحث، تبـــع وزارة الداخلية، لكن مو مـواطن... جـدي كـان بدوي، ما عرف كيف يسـجل نفسـه لمـا بـدت الدولـة تتشـكل، ونـدفع حنـا الثمن اليوم."

سكتنا. لم يكن في القلب سوى احـــترام لهـــذا الرجـــل الـــذي جمـــع بين النخـــوة

والبساطة والوفاء، بينما يظل محروماً من أبسط حقوق الانتماء.

عدنا إلى الفندق بعدها، وقلوبنا مثقلة بالاحترام والحيرة. ودّعناه بلطف، وادّعينا أننا سنغادر الكويت غدًا، فقط لنخفف عنه التكاليف والاهتمام الزائد الذي أكرمنا به فوق ما نستحق.

وهكذا، انتهى يوم من أيامنا في الكويت، لكنه بقي محفورًا في الذاكرة، لا يُنسى.



زيارة صالة التزلج...
ضيافة غير متوقعة وسط الجليد



في صباح اليوم التـالي، وبعـد أن تناولنـا فطورنـا في مطعم فنـدق الشـيراتون الفخم، عـدنا إلى **بهـو الفنـدق** الـذي أصبح محطة صباحية ثابتة لنا. كنا نجلس هناك نرقب الزوار الداخلين والخـارجين، نراقب الأناقة الكويتية في أبهى صورها، ونطـالع الصـحف الـتي تفيض بالحيويـة والانفتـاح. لم تكن هنـاك مسـرحيات

معروضة، وعروض السينما لم تثر حماستنا، مما تركنا في حالة من التردد... ماذا نفعل اليوم؟ وأين نتجه في هذه العاصمة المتألقة التي تشبه اللؤلؤة؟

وبينما نحن على هذه الحال، لمحت أعيننا **رجلاً كويتيًا خمسينيًا**، أنيقًا في ملبسه، متزنًا في جلسته، تبدو عليه علامات الوقار والذوق. كانت فرصة لا تعوّض، فجمعنا شجاعتنا وسألناه بأدب:
" وش الأماكن التي تستحق الزيارة الكويت؟"

ابتسم بودٍّ وكأن السؤال أعجبه، ثم بدأ يعدد الأماكن والوجهات وكأننا أمام مرشد سياحي محترف: شارع سالم المبارك، سوق السالمية، أبراج الكويت، المدينة الترفيهية، النادي البحري، وأخيرًا

قــــــــــــــال بحمــــــــــــــــاس:
"صالة الـتزلج... إذا مـا زرتوهـا، فـاتكم نص الكويت!"

شـدّنا الاسـم... صـالة الـتزلج؟ في بلـدٍ خليجي؟ بـدا الأمـر غريبًـا بقـدر مـا هـو مثـير. سـألناه عن موقعهـا، فبـدأ يصـف الطريــق، لكنــه لاحــظ أننــا تــائهون بين الاتجاهــات والشــوارع، فقــال بابتســامة عريضـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة:
"ولا يهمكم... نروح سوا."

حاولنـا الاعتـذار بلطـف، بحجـة أن لـدينا "ارتباط لاحــق"، لكنهـا لم تكن أكـثر من ذريعة مهذبة لتجنّب إحراجه. ومـع ذلـك، أصـــرّ الرجـــل الكـــريم، وقـــال بثقـــة:
"مــــــا راح تأخـــــــذ وقت، خلكم وراي بسيارتكم."

استسلمنا لحسن نواياه، وتحركنا بسيارتنا خلف سيارته **مرسيدس فاخرة**، كانت تنساب برقي في شوارع الكويت. لم نكن نعرف وجهتنا بدقة، لكن كان في قلوبنا اطمئنان غريب بأننا في يد أمينة.

وبعد دقائق من التنقل بين الشوارع المنظمة، وصلنا إلى **صالة التزلج**. كانت المباني المحيطة بها توحي بأننا في مكان مميز. نزلنا من السيارة، ففوجئنا بأن صاحبنا لم يكتف بإيصالنا، بل أصر على الدخول معنا... بل دفع **ثمن التذاكر** قبل أن ننطق بكلمة!

دخلنا الصالة الكبيرة، والبرودة تقابلنا منذ البوابة الأولى. كانت الأضواء تنعكس على الجليد الأبيض، والأنغام الموسيقية تضفي جوًا من البهجة.

جلسنا في المقاعد المخصصة للزوار نراقب **المتزلجين وهم يتقلبون بين الرشاقة والتعثر**، وبعضهم يسقط بطريقة تثير الضحك أكثر مما تثير الشفقة. ضحكنا كثيرًا، ونحن نُعلّق على الحركات الغريبة، وكأننا نتابع مشهدًا كوميديًا حيًّا على خشبة مسرحٍ بارد.

جلسنا **ما يقارب الساعتين**، لم نشعر خلالها بالملل أو الغرابة. كان المشهد كله جديدًا علينا، ففكرة وجود ساحة جليدية في بلدٍ صيفه أشد من الجمر كانت أشبه بالخيال. وصاحبنا... لم يغادرنا لحظة، وكأنه التزم ضيافتنا بكل جوارحه.

وحين انتهت الجولة، شكرناه على كرمه، وهمّ بمرافقتنا لتناول الغداء، لكننا

اعتذرنا بأدبٍ شديد، مدّعين وجود التزامات مسبقة. الحقيقة أننا لم نرد أن نثقل عليه أكثر، فقد منحنا من وقته وذوقه أكثر مما كنا نحلم.

ودّعناه بابتسامة دافئة، وغادرنا الصالة ونحن نحمل معنا شعورًا فريدًا: أن الطيبة لا تحتاج إلى سابق معرفة، وأن الكويتيين قدّموا نموذجًا راقيًا في حسن الضيافة والانفتاح والكرم غير المتكلّف.

خرجنا من صالة التزلج ونحن نضحك على من سقط ومن تعثر، وعلى أنفسنا كيف دخلنا عالم الجليد في منتصف الخليج.

كانت تلك لحظة من لحظات الرحلة التي لا تُنسى... مزيج من المفاجأة والكرم والدهشة... تمامًا كما كانت الكويت في تلك الأيام.

الليلة الأخيرة...
عُرس على عتبة الذكرى

في ليلتنا الأخيرة بالكويت، كنـا نعلم في قـرارة أنفسـنا أن النهايـة اقـتربت، وأن هـذه الرحلـة الـتي حفـرت في القلب بصـماتٍ لا تُنسـى، سـتطوي صـفحاتها قريبًا. جلسنا كعادتنا في **بهو الفنـدق،** نحتسي القهوة ونراقب الوجوه العـابرة، نعيش اللحظة بكل مـا فيهـا من سـكينة وتأمل.

وفجـأة... اهـتز المكـان بأصـوات طبـولٍ عاليـة، وأهـازيج شـعبية ملأت أرجـاء

الفنـدق. التفتنـا بسـرعة، وإذا **مـوكب عــرسٍ كويــتي** ينطلــق من مــدخل الفنــدق، مشــهد لم نكن نتصــوّره في أرقى فنـادق العاصـمة! كـان العـريس يتقـدّم المـوكب بجـانب عروسـه الـتي خطفت الأنظـــار بجمالهـــا وأناقتهـــا، وخلفهمـا فرقـة شـعبية تـدق الطبـول وتغني بمقامات الفرح الخالص.

نهضنا من مقاعـدنا ونحن لا نكـاد نصـدق أعيننـا. كـل شـيء كـان جديـدًا علينـا... مختلفًـا... صـاخبًا بالحيـاة! وقفنـا على جانب المـوكب وصـفقنا معهم بحمـاس، كأننـا من أهـل العـريس أو أصـدقائه. لم نكن نعــرف أحــدًا، ولكن الفــرح كــان مشاعًا، طليقًا لا يعرف حدودًا.

اتجــه المــوكب إلى صــالة داخــل الفندق، كانت مخصصة للنسـاء، وقفنـا

عند الباب نسترق النظر وسط حفاوة بسيطة من الموجودين، عرفنا وقتها أن مكاننا هو هنا... على العتبة فقط، لا نتعداها. ومع ذلك، بقينا نصفق مع الحضور ونبتسم للعروسين وهما يتقدمان نحو "الكوشة"، حيث تتوّج ليالي العمر وتبدأ الحكاية.

عدنا بعدها إلى غرفتنا، وقد علق في قلوبنا مشهد العرس، وفي رؤوسنا دوّامة من الأفكار... **لحظة الحقيقة تقترب**.

جلسنا على حافة السرير، نتأمل سقف الغرفة الفاخرة، وتبادلنا نظرات صامتة... ماذا عن الحساب؟!

كنا نعلم أن الفندق من فئة الخمس نجوم، وأن كل ليلة فيه تُحسب علينا بالدقيقة، لكننا، كعادتنا، عشنا الرحلة

أولاً، وتركنا الحساب للنهاية... كما يفعل الحالمون.

وفي صباح اليوم التالي، وبعـد أن تناولنـا فطورنـا الأخـير وسـط نكهـات الفخامـة والوداع، توجّهنا إلى **مكتب الاستقبال** لطلب الفـاتورة المؤجلـة، وفي قلوبنـا شيء من القلق والترقّب.

أخرج الموظف ورقة الحسـاب... نظرنـا إليهـــــــــــــا بدهشـــــــــــــة:
المبلغ أقل بكثير مما كنـا نتوقـع!
لم يتجاوز الألف ريال!

سألناه باستغراب، فقال بابتسامة هادئة:
"الفندق قدّم لكم خصمًا خاصًا... تـدخل فيـه أحـد الضـيوف الكـرام يـوم حجـز الغرفة."

حين ســـألناه عن اســـمه، عـــرفت المفاجـــــــــــــــــــأة:

إنه زيدان العنزي... رفيق الليلة الأولى، ومفاجأة الرحلة، وصاحب القلب الذي يسع الصحراء.

ابتسمنا بامتنان، وخرجنا من الفندق بخطى بطيئة... نودّع الكويت، ونودّع معها أيامًا لا تُنسى.

الختام...

عندما تنتهي الرحلة وتبقى الذاكرة

غادرنا الكويت ونحن نحمل منها ما لا يُحمل في الحقائب... ذكرياتٌ عذبة، ومواقف دافئة، ووجوه لن ننساها، مهما طال الزمان. كانت رحلة قصيرة في عمر الوقت، لكنها طويلة في عمق الأثر، تشبّعت فيها قلوبنا بروح المكان وأهله، بنسيم الخليج، وبساطة الناس، وكرمٍ فاض علينا بلا حساب.

مرت السنوات، وتبدّلت الأحوال. ذلك البلد الذي كان يومًا **دُرّة الخليج**، ووجهة كل حالم، وجد نفسه عام 1990م يواجه غدر الغزاة، ويمر بمحنة تهتز لها الجبال. لكنّ الشعوب لا تُقاس

بما يمر بها من أزمات، بل بما تبقيه من إنسانية، من أصالة، من روح لا تُهزم.

نعم، تغير كل شيء... المباني، الأسواق، الأنظمة، الوجوه أحيانًا، لكن بقيت **طيبة الإنسان الكويتي** كما عهدناها، لم تبهت مع الزمن، ولم تذبلها الأحداث، لأنها الجذر الأصيل، والقيمة التي لا تندثر مهما تبدلت الدنيا.

هذه الرحلة لم تكن مجرد عبور حدود، بل كانت عبورًا إلى وجدانٍ آخر... إلى زمنٍ جميل كنّا فيه أقرب للبساطة، وأقرب لبعضنا، وأقرب لأنفسنا.

وربما كانت الرحلات تُنسى، لكن هذه... **بقيت في الذاكرة كالوشم، لا يُمحى.**

فهرس المحتويات

الإهداء	4
المقدمة	5
الوصول إلى حفر الباطن	13
الوصول إلى الكويت	19
مقابلة رابح صقر وزيارة الجهراء	25
زيارة صالة التزلج...	33
الليلة الأخيرة...	37
الختام	42
فهرس المحتويات	44

المؤلف: صالح محمد صالح الهلابي

- **الميلاد:** وُلدت في ربيع عـام 1966م في بيت أسرتي الطيني بعيون الجواء، منطقة القصيم.
- **الإقامة:** أعيش في مدينـة الريـاض منـذ عـام 1968م.
- **التعليم:** تخرجت من جامعة الملك سعود عـام 1990م.
- **الخـبرة العمليـة:** لـدي خـبرة في الوظيفـة العامة تمتد لأربعين عاماً، شغلت خلالها منصـب مدير لمدة خمس وعشرين سنة.
- **العمل الحالي:** أشـغل حالياً منصـب المـدير التنفيذي لجمعية حماية الطيور.
- **النشــاطات:** ناشــط في المجــال البيــئي، متخصص في حماية الطيور.
- **الإصــدارات:** صــدر لي عــدد من الكتب في مجالات متنوعة.

- **التواصل:**
  - **الجوال** (+966 555 488 890)
  - **البريد الإلكتروني**:
  - helabis@gmail.com
  - **www.**alhelabi.com